مركز حمورابي

هل تكسب إسرائيل الحرب على الأنفاق في غزة؟

هل تكسب إسرائيل الحرب على الأنفاق في غزة؟

فورن بوليسي
دافني ريتشموند باراك

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

15 كانون الثاني **2023**

حقوق النشر محفوظةلمركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

لا يجوز نشر أي من هذه الأبحاث و الدراسات و المقالات إلا بموافقة المركز, و يجوز الإقتباس بشرط ذكر المصدر كاملاً , و ليس من الضروري أن تمثل المقالات و الأبحاث و الدراسات و الترجمات المنشورة وجهة نظر المركز , وإنما تمثل وجهة نظر الباحث.

كان تدمير شبكة حماس السرية بطيئا ومرهقا

منذ أن شنت إسرائيل حملتها البرية ضد حماس في قطاع غزة في الأسابيع ال 10، اكتشفت قواتها ورسمت مسار سلسلة من الأنفاق تحت الأرض – وهي جزء من شبكة واسعة بنتها حماس على مدى ما يقرب من عقدين.

وتشكل الشبكة - التي يستخدمها مقاتلو حماس لإخفاء أنفسهم وأسراهم، والتخطيط للعمليات، وتخزين الأسلحة، ونصب الكمائن للجنود الإسرائيليين - جزءا مهما من البنية التحتية العسكرية للحركة. لقد ثبت أنها أكبر نقطة ضعف لإسرائيل في الحرب. وإن تدميرها ضروري لإضعاف القدرات العسكرية لحماس ومنع هجمات مماثلة لتلك التي نفذتها الحركة في 7 تشرين الأول/أكتوبر، مما أسفر عن مقتل حوالي 1200 شخص. ومع ذلك، كانت العملية بطيئة ومرهقة بشق الأنفس.

ومع بداية العام الجديد، يلوح في الأفق الآن سؤال كبير للمخططين العسكريين وللمحللين الذين يسعون إلى استخلاص الدروس من هذه الحملة: ما مدى قرب إسرائيل من تدمير شبكة الأنفاق؟ وكم من الوقت ستستغرق قواتها للتغلب على هذا التهديد؟

ولطالما كانت حرب الأنفاق واحدة من أكثر أشكال القتال فتكا وتعقيدا. فخلال الحرب العالمية الأولى، مات عدة آلاف من القوات البريطانية في محاولة لتدمير المواقع الألمانية تحت الأرض. وبعد سنوات، كافحت الولايات المتحدة لهزيمة الأعداء الراسخين في فيتنام وأفغانستان والعراق.

وعادة ما تنشر الجيوش التي تواجه هذه التهديدات الجوفية أقوى أسلحتها، بما في ذلك طائرات B-52، وقاذفات اللهب، والأسلحة الحرارية، والقنابل الخارقة للتحصينات، وغيرها من الصواريخ الجوية الموجهة بدقة. وفي كثير من الأحيان، فشلت هذه التدابير في القضاء على عدو يعمل من الكهوف والأنفاق وغيرها من الهياكل الجوفية الاصطناعية أو التي من صنع الإنسان.

لقد تعلمت إسرائيل هذا بالطريقة الصعبة. وإن اكتشاف أنفاق عابرة للحدود حفرتها حماس بين قطاع غزة وإسرائيل في عام 2014 أعاد الخطر الأمني الكبير الذي تشكله، خاصة عندما تقترب من السكان المدنيين.

وكانت العملية العسكرية الإسرائيلية ضد حماس في ذلك العام هي الحرب الأولى في القرن ال21 التي أصبحت فيها الأنفاق النقطة المحورية للعمليات العسكرية – وهو تطور من شأنه أن يشكل لاحقا الحرب الأهلية السورية. لقد ادركت إسرائيل تماما أنه يمكن استخدام الأنفاق لخطف الجنود والمدنيين والتسلل إلى الأراضي الإسرائيلية وتنفيذ هجمات عنيفة. لكن التركيز الإسرائيلي على الأنفاق، إذا كان هناك نفق منسق في ذلك الوقت، كان مكرسا إلى حد كبير للأنفاق العابرة للحدود - وأقل من ذلك على الحشد العسكري المتزايد باستمرار داخل قطاع غزة.

فبعد حرب عام 2014، تحولت إسرائيل إلى نهج أكثر استراتيجية وكثفت جهودها. وأنشأت وحدات النخبة المتخصصة في حرب الأنفاق، وبنت هياكل الأنفاق الخاصة بها لتدريب الجنود، وحسنت الكشف عن الأنفاق مع الوحدات المتنقلة والبحث والتطوير المستهدفين، وتوصلت إلى حلول تكتيكية فريدة لتعزيز الاستعداد، وعززت التعاون مع الشركاء والحلفاء.

ونتيجة لذلك، دخل جيش الإسرائيلي الحرب الحالية وهو يمتلك القدرات العسكرية الأكثر تقدما في الكشف عن الأنفاق ورسم خرائطها وتحييدها وتدميرها. ومع ذلك، فإن هذا لم يردع حماس عن الحفر ولم يقلل من التحدي المتمثل في القتال في بيئة تحت الأرض. وحتى أكثر الوحدات تخصصا في جيش الدفاع الإسرائيلي تكبدت خسائر بسبب مداخل الأنفاق المفخخة.

كما كشفت هذه الوحدات عن جيل جديد من أنفاق حماس. فقد تم تعزيز الهياكل البدائية للمجموعة في أوائل عام 2000 بألواح خشبية. فالشبكات الحالية أعمق وأكثر صلابة، تشبه أنفاق التسلل الكبيرة في كوريا الشمالية. حيث استخدمت حماس تقنيات حفر مدنية متقدمة لحفرها، ونقلت قدراتها تحت الأرض إلى نشوى اعلى.

وقد أتى اعتماد حماس المتزايد على الأنفاق وجهودها الإنشائية المتقنة ثمارها. اذ لم يحدث أبدا في تاريخ حرب الأنفاق أن تمكن مدافع من قضاء أشهر في مثل هذه الأماكن الضيقة. وإن الحفر نفسه، والطرق المبتكرة التي استخدمتها حماس للأنفاق، وبقاء الحركة تحت الأرض لفترة طويلة لم يسبق لها مثيل.

وبالنسبة للجنود الإسرائيليين، يتطلب التقدم في هذه الأرض الخطرة نهجا منهجيا. فقد سعت الحملة الجوية للجيش الإسرائيلي والعملية البرية المبكرة إلى السيطرة على السطح وتقليل المخاطر التي تشكلها حرب المدن على المقاتلين والمدنيين. ودمرت المباني للحد من هجمات القناصة والكمائن، وتم إخلاء شمال غزة إلى حد كبير للحد من الخسائر في صفوف المدنيين.

وشرعت القوات في تطهير الأرض بالجرافات المدرعة لكشف فتحات الأنفاق.
وهذه الفتحات، المعروفة باسم حفر الأنفاق، هي في الأساس ثقوب قاتلة في الأرض. ويمكن أن تختلف في الحجم والشكل وعادة ما تكون مموهة ومفخخة. وإنها تؤدي إلى مهاوي الأنفاق - وهو جزء من الهيكل الجوفي يستخدم للتغلغل في عمق الأرض والوصول إلى شبكة أوسع من الأنفاق.
وخلال عملية التمشيط، كشف الجنود الإسرائيليون عن مئات حفر الأنفاق، مما جعل التقدم بطيئا ومعقدا. وقد مكنت هذه الحفر مقاتلي حماس من الخروج من الأرض، وإطلاق النار من الأسلحة الآلية أو قاذفات الصواريخ على القوات، والاختفاء في غضون ثوان. وأغلق الجيش الإسرائيلي أو دمر العديد من هذه الفتحات كإجراء مؤقت، حتى تتمكن القوات من مواصلة تقدمها وتأمين الأراضي.
وكانت الخطوة التالية هي رسم خريطة ومعرفة المزيد عن شبكة الأنفاق. وبقي الجنود على السطح إلى أن تمكنوا من دخول الأنفاق بأمان لجمع المعلومات الاستخباراتية والبحث عن الرهائن - تم احتجاز حوالي 240 منهم خلال هجوم حماس على إسرائيل في 7 تشرين الأول/أكتوبر.
وأرسلت القوات أولا روبوتات وطائرات بدون طيار مزودة بكاميرات فيديو إلى الأنفاق، يمكنها اكتشاف وجود متفجرات أو أشخاص. وساعدت هذه الإجراءات وغيرها في كشف حجم ونطاق الشبكة وسمحت بدخول الجنود إلى الأنفاق - قبل الانتقال إلى مرحلة التدمير. وإن تخطي أي من هذه الخطوات كان من شأنه أن يكون قاتلا لجنود الجيش الإسرائيلي والرهائن الإسرائيليين والمدنيين الفلسطينيين.
فالوقت هو أثمن مورد في هذا المسعى، حيث تعمل القوات في بيئة عسكرية معقدة تجمع بين حرب المدن وحرب الأنفاق وعمليات البحث والإنقاذ. حيث يتطلب تحديد موقع بقية الأنفاق، والعمل حول الشراك الخداعية، وتجنب الهجمات المفاجئة، نهجا بطيئا ومنهجيا. ففي غزة، كما في الحروب السابقة تحت الأرض، أدت الأنفاق إلى زعزعة استقرار القوات، وتسببت في خسائر كبيرة، وأخرت نهاية الحرب، وجعلت النصر أقل تأكيدا.
وبالفعل، أصبح من الواضح أن إسرائيل لا تستطيع اكتشاف أو رسم خريطة لكامل شبكة أنفاق حماس. ولكي تعلن إسرائيل النصر بشكل مقنع، في رأيي، يجب عليها تدمير ما لا يقل عن ثلثي البنية التحتية المعروفة تحت الأرض لحماس.

وللوصول إلى هناك، ورد أن إسرائيل قررت ضخ كميات كبيرة من مياه البحر في الأنفاق. لقد ولدت حرب الأنفاق تقليديا ابتكارا عسكريا، وهذه الحرب ليست استثناء. وعلى المستوى الاستراتيجي، اغراق الانفاق بمياه البحر هو محاولة من قبل الجيش الإسرائيلي للحصول على بعض المزايا العسكرية في التضاريس التي استغلتها حماس. وعلى المستوى التشغيلي، يمكن أن تمثل الفيضانات توسعا في الترسانة المضادة للأنفاق، والتي تتكون حتى الآن بشكل حصري تقريبا من القنابل الخارقة للتحصينات. وهذه القنابل لديها قدرة محدودة على اختراق الأرض ولا يمكن استخدامها في جميع التضاريس.

ولن تكون هذه هي المرة الأولى التي تغرق فيها الجيوش أنفاق العدو خلال الحرب. لكن القيام بذلك بالطريقة التقليدية، عبر حفر الأنفاق، له تأثير محدود فقط. وللنجاح في تدمير الهيكل وإنتاج ما يعرف في التجارة باسم القتل الصعب، يجب حقن المياه مباشرة من البحر إلى الأقسام الأفقية للأنفاق بكميات وضغط مرتفعين، مما يعزز القوة التي تمارس على الأسمنت. وفقط النهج الذي يتضمن هذه العناصر الثلاثة - الحجم الكبير والضغط العالي والحقن الأفقي المباشر - يمكن أن يؤدي إلى التدمير الكامل لهيكل النفق.

وهناك بعض المخاوف من أن الضخ الأفقي لمياه البحر في الأنفاق يمكن أن يلوث مصادر المياه الجوفية، بالمناسبة إن لم يكن عن قصد. ومن المعروف بالفعل أن طبقة المياه الجوفية الساحلية، وهي المصدر الوحيد للمياه التي يمكن للفلسطينيين في غزة الوصول إليها، ملوثة وغير صالحة للاستهلاك بسبب الإفراط في الاستخراج. ويجب مقارنة إمكانية التسبب في ضرر لا رجعة فيه لطبقة المياه الجوفية بالضرر المحتمل الذي يلحق بحياة المدنيين فوق الأرض من خلال طرق أخرى لتدمير الأنفاق - بما في ذلك القصف الجوي.

وقد لا يتم نشر طريقة مياه البحر في جميع الحالات. فبعض الأنفاق بعيدة جدا عن الخط الساحلي، في حين أن البعض الآخر منفصل عمدا عن المجموعات الرئيسية. وفي الأنفاق التي يعتقد أن الرهائن محتجزون فيها، قد تمتنع إسرائيل عن استخدام هذه الطريقة تماما. ومع ذلك، فإن هذا النهج يجعل من الممكن، على الأقل من الناحية النظرية، لإسرائيل تحقيق هدفها المتمثل في تدمير أجزاء كبيرة من البنية التحتية للأنفاق.

وبينما تتحرك إسرائيل لتدمير الشبكة تحت الأرض، تبقى القوات تحت النار، ويتم اكتشاف أنفاق إضافية كل يوم. وقد يستغرق إكمال هذه المهمة بضعة أشهر أخرى. وفي حرب الأنفاق التي تتطلب القدرة على التحمل والوقت والمثابرة، فإن إنهاء الحرب قبل الأوان قد يعني الهزيمة. ولتجنب مثل هذه النتيجة، فإن قدرة إسرائيل على تحديد جدولها الزمني أمر أساسي.

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

أسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية في،18-11-2006 بمدينة بابل(الحلة)، كمركز علمي بحثي يمتد الى دراسة الموضوعات السياسية و المجتمعية بصورة علمية و استراتيجية، فضلاً عن التركيز على القضايا والظواهر الحادثة والمحتملة قي الشأن المحلي والأقليمي والدولي ، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

www.hcrsiraq.net

07810234002

hcrsiraq@yahoo.com

t.me/hammurabicrss

hcrsiraq

hcrsiraq

العراق - بغداد- الكرادة - العرصات الهندية-قربالسفارةالصينية